مجلة المعيار ISSN: 2588-2384
مجلد: 22 عدد: 44 السنة: 2018

حقيقة المحبة وأبعادها في فكر بديع الزمان النورسي

د.فاطمة سوالمي

قسم العقيدة ومقارنة الأديان كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

ghadabellibel@gmail.com

تاريخ الوصول: 2018/05/09 / القبول:..... / النشر على الخط: .....

Received: ..... / Accepted: ..... / Published online: .....

الملخص:

انطلق النورسي في دعوته للالتزام بخلق المحبة من الطبيعة البشرية التي اعتادت خلالها النفس على أن يكون هواها تبعا لمن تحب وتهوى، ولاشيء أروع وأفضل عند مفكرنا من تعلق النفس بخالقها وبارئها العليم بأحوالها والخبير بشؤونها.

ولقد بين الباحث أن إيجابية المحبة تكمن في ارتباطها بالإيمان الذي يعدّ في نظر النورسي السبيل الوحيد لتوجيهها نحو الخير والصلاح، فلقد أدرك من منطلق ثقافته القرآنية وخبرته بالحياة أن الإيمان بالله هو الطريق الذي يقود إلى التخلق بخلق المحبة.

ولما كانت المحبة تتعدى إلى محبة كل ما يتعلق بالمحبوب، فقد تعدت محبة النورسي لربه إلى محبة أفضل خلقه وهو رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، ومحبة المؤمنين من عباده لارتباطهم برباط الإيمان الذي يدعوهم لنوع خاص من الأخوة تفوق أخوة القرابة والنسب وتتجاوز حدود الزمان والمكان.

ولأن المحبة الخالصة هي التي تثمر تهذيبا في النفس واستقامة في السلوك، فلقد كانت حياته –رحمه الله– التي لا نملك حيالها إلا الإكبار والإجلال لهذا الرجل الذي ملكت قلبه محبته لربه فصار قلبا يفيض بالحب لكل الموجودات من حوله في إباء وعزة ومن غير انكسار ومذلة.

لقد كانت حياته صورة لما كتب وسطر في رسائله النورانية، كان بحسه ووجدانه عنوانا للمحبة في كل أبعادها النفسية والاجتماعية والكونية.

الكلمات المفتاحية: النورسي، المحبة، الإيمان، الإيجابية، السلوك، التعاون، الفرد، المجتمع، الإنسانية.

Love and its distance at Badei Zaman Noursy.

Summary

In his call to commit to the creation of love from the human nature in which the soul used to be loved according to whom you love and desire, El nawrasi embarked on his call to commit to the creation of love. Nothing is more wonderful and better for our thinker than to attach himself to her Creator and to her knowledgeable reader of her situation and expert on her affairs.

The researcher has shown that the positive of love lies in its connection to the faith which in the eyes of Elnawrasi is the only way to guide it towards goodness and righteousness.

His Quranic culture and his experience of life that faith in God is the path that leads to creation by creating love.
As the love transcends the love of all that is related to the beloved, the love of Elnawras has exceeded his Lord to the love of his best creation, his noble messenger, the best of prayers and peace, and the love of the believers of his slaves for their attachment to the bond of faith that invites them to a special kind of brotherhood.
And because pure love is the fruit of self-discipline and integrity in behavior, it was his life - God's mercy - the title of the lofty meanings that embodied in many of his positions, which we have nothing but respect and reverence for this man whose heart was his love for his Lord became a heart full of love for all the assets of Around him in the abomination and dignity and without refraction and humiliation.
Keywords: nancy, love, faith, positive, behavior, cooperation, individual, society, humanity.

مقدمة

إن العالم اليوم أحوج ما يكون إلى ترسيخ قيم المحبة والتعاون والتآلف ذلك أن الالتزام بهذا الخلق هو الضمان الوحيد لصيانة وحدة الأمة ووحدة الإنسانية، فالمحبة خلق إنساني كريم متى تمكن من النفس أكسبها جملة من الصفات الأخلاقية الإيجابية التي تدفع الإنسان للبذل والعطاء ومشاركة الآخرين في السراء والضراء، والمحبة هي صمام الأمان الذي يمنع الإنسان من السقوط في دائرة الأنانية الضيقة وما يرافقها من أمراض نفسية خطيرة كالكراهية والحقد والحسد.

ولقد أدرك العلامة بديع الزمان النورسي أهمية خلق المحبة بالنسبة للفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء، وعلم أنّ غرسها في الفرد هو السبيل لتحقيق التكافل والتعاون والسلام في المجتمع والوصول به إلى خير الإنسانية وصلاحها، لذلك نجده انتهج في تناوله لخلق المحبة منهجا متميزا جمع فيه بين القول والفعل معا، ذلك أن الاعتماد على أسلوب الخطابة والوعظ في الدعوة إلى الالتزام بهذا الخلق لم يعد يجدي نفعا لدى الإنسان المعاصر الذي لم يعد يقنع إلا بالفعل والممارسة، مما يؤكد واقعية النورسي وإيجابيته في ترسيخه لدعائم الكمال النفسي لدى طلابه، إذ أن المربي الناجح هو من يربي بحاله لا من يربي بمقاله.

ومعبرا في ذات الوقت عن إيمانه بهذا الخلق الإيجابي الذي يعتبر الطاقة والمحرك الذي يوجه الإنسان لسلوك طريق الخير في التعامل مع النفس ومع الآخر ومع ما يحيط به من المخلوقات التي تشاركه العيش على هذا الكوكب.

من هنا تتحدد إشكالية البحث في كون المحبة عند النورسي يمكن أن تكون منطلقا أو مرتكزا أساسيا لبناء إنسان منفتح القلب والعقل، مقبلا على الحياة بعزيمة وصبر، وبالتالي يمكن صياغتها على النحو التالي:

ما هي حقيقة المحبة عند النورسي؟ وما هو دورها في تجسيد الترابط الأخوي والإنساني؟

ما هي الدواعي الموجبة للمحبة عند النورسي،؟ وماهي ابعادها؟

وللإجابة على هذه الأسئلة اتبعنا الخطة التالية:

أولا: حقيقة المحبة عند النورسي

ثانيا: موجبات المحبة عند النورسي

ثالثا: مستويات المحبة عند النورسي

رابعا: أبعاد المحبة عند النورسي

خاتمة

أولا: حقيقة المحبة عند النورسي:

إن الحديث عن القيم الإنسانية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع أصبح ضرورة حياتية في ظل ما يعانيه الإنسان في هذا العصر من أزمات نفسية واجتماعية واقتصاية، نتجت عن الإفراط في التمركز حول الذات والاهتمام بالماديات، وهي الصفات التي تهدد وحدة الذات وتماسك المجتمعات.

وأمام هذا الوضع الخطير أصبحت الحاجة ماسة لإبراز ما تحتاجه المجتمعات من القيم والمبادئ التي تظبط سلوك الفرد وتسعى لبناء إنسان يؤمن بخصوصيته الحضارية وبالمشترك الإنساني، لتنعم البشرية في ظله بالعيش الكريم في عالم يسوده الأمن والطمأنينة والسلام.

ولذلك فقد كان الانشغال بالقيم حاضرا في كتابات العديد من العلماء والمفكرين نذكر منهم ما كتبه النورسي الذي ركز في مقاربته على قيمة المحبة باعتبارها مفهوما يتضمن الكثير من المشاعر والأحاسيس الإيجابية كالمودة والرحمة والرفق والتعاون.

يستهل النورسي حديثه عن المحبة باعتبارها نزعة إنسانية واستعدادا فطريا أودعه الله سبحانه في الطبيعة البشرية، حيث قال: " ولما كان الإنسان أجمع ثمرة من ثمرات هذا الكون، فقد أدرجت في قلبه –الذي هو نواة تلك الثمرة–محبة قادرة على الاستحواذ على الكائنات كلها"[1].

وتأخذ المحبة عند النورسي صورا متنوعة فقال: "إن الإنسان يحب نفسه أولا، ثم يحب أقاربه، ثم أمته، ثم الأحياء من المخلوقات، ثم الكائنات، ثم الدنيا، فهو ذوا علاقة مع كل دائرة من هذه الدوائر، ويمكن أن يتلذذ بلذائذها ويتألم بآلامها. بينما لا يقر قرار لشيئ في هذا العالم الصاخب الذي يموج بالهرج والمرج، وتعصف فيه العواصف المدّمرة، لذا ترى قلب الإنسان المسكين يجرح دائما[2].

وهذه الأنواع من المحبة ذات طابع دائري تبدأ من النفس ثم تأخذ في الاتساع والانتشار، فيبدأ الإنسان بمحبة نفسه ومنها ينتقل إلى محبة أقاربه، ثم تليها دائرة محبة الأمة والوطن وتليها دائرة محبة جميع المخلوقات.

ومن هنا فإن المحبة عند النورسي تتخذ منحى إيجابيا ينتقل بالإنسان من دائرة الاهتمام الضيق بالأنا إلى رحاب أوسع وأشمل يتعامل فيه بالمحبة مع جميع الموجودات من حوله.

ثانيا: موجبات المحبة عند النورسي:

يقول النورسي: "إن الله سبحانه وتعالى بألوهيته الجليلة ورحمته الجميلة وربوبيته الكبيرة ورأفته الكريمة وقدرته العظيمة وحكمته اللطيفة قد زين هذا الإنسان الصغير بحواس ومشاعر كثيرة جدا وجمّله بجوارح وأجهزة وأعضاء مختلفة عديدة، ليشعره طبقات رحمته الواسعة، ويذيقه أنواع آلائه التي لا تعد ويعرّفه أقسام احساناته التي لا تحصى ويطلعه على تلك الأجهزة والأعضاء الكثيرة على أنواع تجلياته التي لا تحد لألف اسم واسم من أسمائه الحسنى ويحببها إليه، ويجعله يحسن تقديرها حق قدرها "[3].

---

[1]–بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، المكتوب الثاني، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط3، دار سوزلر، اسطنبول، 1998م، ج1، ص410.

[2]–المصدر السابق، ج1، 412.

[3]– بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر للطباعة، اسطمبول، 1998، ص774

يرى النورسي أن النظر والتأمل في النعم والآلاء التي تفضل بها الله على الإنسان هي بمثابة الباعث والدافع لمحبة الله تعالى، وهي حالة وجدانية ينبغي أن تتصف بها كل النفوس من حيث اشتراكها في التمتع بتلك النعم التي لا تعد ولا تحصى، وممن وردت عليه تلك الحالة الفيلسوف "لينه" الفسيولوجي الفرنسي الذي قال: "إن الله الأزلي الكبير العالم بكل شيئ، قد تجلّى لي ببديع صنائعه، حتى صرت مدهوشا مبهوتا، فأيّ قدرة وأيّ حكمة وايّ إبداع أودعه مصنوعاته؟ سواء في ذلك أصغر الأشياء أم أكبرها، إن المنافع التي نستمدها من هذه الكائنات، تشهد بعظيم رحمة الله التي سخرها لنا، كما أن جمالها وتناسقها ينبئ بواسع حكمته، وكذلك حفظها وتجددها ينطق بجلال عظمته "[1].

وقد ذكر ابن القيّم في مدارج السالكين هذه المحبة فقال: "...محبة تنبث من مطالعة المنة، أي تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه ونعمه الباطنة والظاهرة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وليس للعبد قط إحسان إلا من الله"[2]

واعتبار الإحسان والإمداد سببا من أسباب المحبة هي حال العامة كما يقول الطوسي: " أن أهل المحبة في ثلاثة أحوال: الحال الأوّل هو محبّة العامة، وهذا ناتج من إحسان الله إليهم وعطفه عليهم. والحال الثاني وهو يتوّلد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته، وهذا النوع من الحب يصل إليه الصّادقون والمتحقّقون. أما النوع الثالث من الحب فهو محبّة الصديقين والعارفين، تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا علة، فكذلك أحبّوه بلا علة "[3].

ومن دواعي المحبة عند النورسي أن إدراك الجمال المودع في الكون يؤدي إلى محبة الخالق الذي بديع السماوات والأرض حيث يقول: "إن الله سبحانه وتعالى جمالا وكمالا مطلقين، وأن جميع أنواع الجمال والكمال المنقسمة على الكائنات جميعها، هي أمارات على جماله وكماله وإشارات إليهما وعلامات عليهما.

وحيث إن كل صاحب جمال وكمال، يحب جماله وكماله بالبداهة، فالله سبحانه وتعالى يحب جماله بحب يليق بذاته الجليلة، وإنه يحب أيضا أسماءه التي هي شعاعات جماله جلّ وعلا.

وإذا أنه يحب أسماءه فإنه يحب إذن صنعته التي تظهر جمال أسمائه.

ويحب إذن مصنوعاته التي هي مرايا لجماله وكماله"[4].

فهذه العبارات تنبئ عن نفس سحرت بجمال الكون فقادها ذلك إلى محبة خالق الكون مما يوضح صلة المحبة بالجمال عند النورسي، وهي الصلة التي نبه إليها الصوفية منذ رابعة العدوية في القرن الثاني الهجري التي أنشدت قائلة:

أحبّـــــكَ حُبَّـــــينِ حُـــــبَّ الهَـــــوَى وحُبّـــــاً لأنـــــكَ أهْـــــلٌ لِـــــذَاكَ

فَأَمَّـــــا الـــــذِي هُـــــوَ حُـــــبّ الهَـــــوى فشُـــــغْلِي بـــــذكرِكَ عمَّـــــنْ سِـــــوَاكَ

---

[1]-أحمد نصيب المحاميد، الحب بين العبد وربه، ط1، دار الفكر، دمشق، 1401هـ-1980م، ص124.

[5]-محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وغياك نستعين، نسخة إلكترونية، 2010م، ج5، ص512، Islamicbook.ws

[3]-الطوسي: اللمع، في تاريخ التصوف الإسلامي، ضبطه وصححه كامل مصطفى الهنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص54.

[4]- النورسي، ،كليات رسائل النور، المكتوبات، المكتوب الثاني، مصدر سابق، ج2، ص392-393

وأمَّـــــا الـــــذِي أنْـــــتَ أهْـــــلٌ لَـــــهُ فكَشْـــــفُكَ لِي الحُجْـــــبَ حـــــتَّى أرَاكَ

فـــــــــلا الحمـــــــــد في ذا، ولا ذاك لي ولكـــــــن لـــــــك الحمـــــــد في ذا وذاك[1].

وقد قام الصوفي أبو طالب المكي بتوضيح الصلة بين إدراك جمال الكون ومحبة الله من خلال شرحه لهذه الأبيات فقال: "فأما قولها: حب الهوى، وقولها: حب أنت أهل له، وتفرقها بين الحبين، فإنه يحتاج إلى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه، ويخبره من لم يشهده. معنى حب الهوى: أي رأيتك فأحببتك عن مشاهدة عين اليقين، لا من خبر وسمع تصديق، من طريق النعم والإحسان، فتختلف محبتي إذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك علي، ولكن محبتي من طريق العيان، فقربت منك، وهربت إليك، فاشتغلت بك لما تفرّغت لك. وأمّا الحب الثاني الذي هو أهلّ له: تعني حبّ التعظيم والإجلال لوجه العظيم ذي الجلال"[2].

ويضيف الغزالي موضحا: "ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة، وبحبّه لما هو أهل لهالحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبّين وأقواهما"[3].

ولهذا يعتبر البوطي النورسي صوفيا قد حقق في نفسه مقولة:"كان التصوف في صدر الإسلام مسمى لا إسم له. أما ما تعلق بنفي النورسي التصوف عن نفسه فقد أرجعه البوطي إلى أخلاقه الرفيعة، بحيث كان أمام الله فعالا بتواضع وصمت [4].

ذلك أن المقولات التي صدرت عن النورسي في حديثه عن الجمال المطلق "لا تنبثق إلا من قلب من أخذ بلوعة التعظيم والخشية والحب، فيّاض بمشاعر العبودية الواجفة لله عز وجل...إن هذه الأحاسيس لا تنبثق إلا من قلب من أخذ نفسه بأوراد الصباح والمساء، وغذى فطرته الإيمانية بالكثير من ذكر الله ومرقبته، وألزم نفسه بمنهاج دائم من التنقل في مدارج السالكين، وهل كان هذا إلا ديدن الرعيل الأول من المسلمين"[5].

ومن موجبات المحبة عند النورسي التحقق بأوصاف العبودية، كالتحقق بصفة الفقر والعجز والضعف يقول رحمه الله: "تصور وأنت تستشعر عجزك وحاجتك الشديدة إلى من يساعدك ويعينك لإنقاذ من تحن إليهم، وتشفق على أوضاعهم، من الأقارب والفقراء وحتى المخلوقات الضعيفة المحتاجة، إذ بأحدهم يبرز في الميدان ويحسن لأولئك ويتفضل عليهم ويسبغ عليهم نعمه بما تريد وترغبه فكم تطيب نفسك وكم ترتاح إلى اسم المنعم والكريم"[6].

إن الإيمان بعجز الإنسان وضعفه وحاجته الدائمة إلى الله يدفعه إلى التقرب منه سبحانه وتعالى وحبته والتفاني في عبادته، قال تعالى: **[مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[7]

---

[1]-أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، دط، القاهرة، 1351هـ-1932م، ج2، ص56-57.

[2]-عبد الرحمان بدوي، شهيدة العشق الإلهي- رابعة العدوية-، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت، ص65.

[3]-أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دط، دار إحياء الكتب العربية، دت، ج4، ص302.

[4]-المرجه نفسه.

[5]-رمضان البوطي، الوهج الروحي في حياة الأستاذ سعيد النورسي، ضمن جلسات الحلقة الدراسية، ندوة الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي، أسطنبول، 15-7-2005، موقع نافذة النور. أ.

[6]-النورسي، الكلمات، مصدر سابق، ص767.

[7]-سورة فاطر، الآية: 2.

والفقير في المفهوم النورسي هو من استشعر بداخله "قصورا بلا نهاية، وعجز بلا غاية، وفقرا بلا انتهاء، واحتياجا بلا حد، وآمالا بلا عدّ، فكما أودع فيها الجوع والعطش لمعرفة لذة نعمه تعالى، كذلك ركبت فيه من القصور والفقر والعجز والاحتياج، لتنظر بمرصاد قصورها إلى سرادقات كماله سبحانه، وبمقياس فقرها إلى درجات غناه ورحمته، وبميزان عجزها إلى قدرته وكبريائه، ومن تنوع احتياجها إلى أنواع نعمه وإحسانه له"[1].

فالفقر بمعنى الاضطرار والاحتياج إلى الله هي صفة ذاتية لجميع الخلائق بينما الغنى هي صفة لذات واحدة فلا يوجد في الكون إلا غني واحد هو الله تعالى سبحانه وتعالى **[وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ)**[2]

إن أوصاف العبودية في الرؤية النورسية تمثل حصانة للإنسان تحميه من اليأس والقنوط، ومن الغرور والاستعلاء، ومحفزا يدفعه لاقتحام الصعاب ومواجهة الحياة بكل عزم وثقة وشجاعة وصبر، وهي الإيجابية التي ميزت شخصية النورسي فكانت حياته وأخلاقه صورة لكل ما كتب وسطر في رسائله النورانية، كما يتضح من قوله: "عرفت بالعجز والفقر غير المحدودين الكامنين في حياتي القدرة المطلقة لخالقي ورحمته الواسعة، من حيث إزالة حاجاتي التي لا تنتهي، ودفع أعدائي الذين لا يُعدّون، فعلمت وظيفة العبودية، وتزودت بالسؤال والدعاء والالتجاء والتذلل"[3].

ثالثا: مستويات المحبة عند النورسي

تنوعت المحبة عند بديع الزمان النورسي إلى مستويات أربعة.

1-محبة الله

هي أسمى وأجل العواطف الإنسانية التي متى تمكنت من القلب كانت له الدافع والموجه الأساسي لكل حركاته وسكناته، لذلك جعل الامتثال لأمر الله واجتناب نواهيه دليلا على صدق محبة العبد لخالقه، حيث قال في شرحه لقوله تعالى:**[قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ]** [4]ما نصه: «إن كنتم تؤمنون بالله فإنكم تحبونه، فما دمتم تحبونه فستعملون وفق ما يحبه.... »[5].

هو يشير إلى الارتباط الوثيق بين المحبة والعبادة، فمن كانت محبته لله قوية كان امتثاله لله مطلقا وخضوعه له تاما، وذلك هو الإيمان الحق كما قال تعالى: **[وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ]** [6]

ولقد سلك النورسي في تربية النفوس على المحبة ا مسلك الترغيب في نعيم الآخرة الذي ينتظر الإنسان إن آمن بالله وأحبه، حيث قال: "وان محبوباً أزلياً اعدّ – باسمه الرحمن الرحيم – مسكناً جامعاً لجميع رغباتك المادية، وهو الجنّة المزينة بالحور العين، وهيأ بسائر أسمائه الحسنى آلاءه العميمة لإشباع رغبات روحك، وقلبك، وسرّك، وعقلك، وبقية لطائفك. بل له سبحانه في كل اسم من أسمائه الحسنى خزائن معنوية لا تنفد من الإحسان والإكرام. فلاشك أنّ ذرة من محبة ذلك المحبوب الأزلي تكفي بديلاً عن الكائنات كلها ولا يمكن أن تكون الكائنات برمتها بديلاً عن تجلٍ جزئي من تجليات محبته سبحانه"[7].

---

[1] – النورسي، رسائل النور، المثنوي العربي النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط3، دار النصر، مصر، 2000م، ص364.

[2] _ سورة محمد، الآية 38.

[3] –النورسي، الشعاعات، 4، ص83.

[4] –سورة آل عمران، الآية: 31.

[5] – النورسي، مرقاة السنة، مصدر سابق ص26.

[6] –سورة البقرة، الآية: 165.

[7] – النورسي، الكلمات، مصدر سابق، ض413.

وهو في هذا النص يشير إلى المحبة التي تنشأ عن النظر والتأمل في إحسان الله إلى العبد، وهي حالة نفسية داخلية تنزع بالفرد إلى سلوك طريق الاستقامة وذلك بالاستجابة لأوامر الله والانتهاء عما نهى عنه، وهذا الشعور موجود في الطبيعة الإنسانية التي فطرت على محبة من يحسن إليها، ورغم ذلك يغفل الكثير من الناس عن الاشتغال بهذه الحال، ولذلك اشترط بعض الصالحين لهذا النوع من المحبة "صفاء الود مع دوام الذكر"[1]، وفي هذا الصدد يقول ابن عطاء الله السكندري: " إياك أن تخرج من هذه الدار وما ذقت حلاوة حبه، ليس حلاوة حبه في المأكل والمشارب لأنه يشاركك فيها الكافر والدابة، بل شارك الملائكة في حلاوة الذكر والجمع على الله تعالى[2]، وذلك لأن المرء إذا أحب شيئا أكثر من ذكره، وذكر الله يكون بدوام الإقبال عليه وصدق التوجه إليه تعالى.

2- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

إن محبة الله في وعي النورسي لا تنفصل عن محبة رسوله الكريم-صلى الله عليه وسلم-، فإذا علمنا أن محبة الله لا تكتمل إلا بحب ما يحبه الله وكراهة ما يكرهه سبحانه وتعالى وأدركنا أن الطريق الوحيد لمعرفة ذلك هو إتباع رسوله الكريم، أصبحت محبة الله ورسوله أمران متلازمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله تعالى: [**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**] [3].

ولقد اعتمد النورسي في دعوته لمحبة الرسول –صلى الله عليه وسلم-على أسلوب الإقناع والحجة وذلك من خلال بيان الحاجة لهذه المحبة والمتضمنة في قوله:"...وهكذا فالرسول الكريم ص الذي هو أكمل فرد في مصنوعات الله، وأبرز شخصية في مخلوقاته.. وهو الذي يقدّر ويعلن عن الصنعة الإلهية بذكر جذاب وتسبيح وتهليل.. وهو الذي فتح بلسان القرآن خزائن جمال الأسماء الحسنى وكمالها.. وهو الذي يبيّن بيانا ساطعا-بلسان القرآن-الآيات الكونية الدالة على كمال صانعها.. وهو الذي أدّى وظيفة المرآة للربوبية الإلهية بعبوديته الكلية، حتى حضي بأتم تجليات الأسماء الحسنى كلها، بجامعية ماهيته"[4].

يرى النورسي أن النبي صنعة إلهية فريدة تجلت فيه كل صور الكمال البشري كما تشهد بذلك صفاته وأحواله وأفعاله، فهو النموذج الذي اختاره الله ليكون القدوة لمخلوقاته والطريق الموصل للفوز بالنعيم الأبدي.

وقد قال ابن عطاء الله السكندري: «وإذا طلبت الخير كلّه فقل: اللهم ني أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وآله وسلم في الأقوال والأفعال»[5].

وفي موضع آخر يقول: «فقد جمع الله الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتابعه بالقناعة فيما رزقك الله تعالى والزهد والتّقلل من الدنيا، وترك ما لا يعني من قول وفعل، فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله تعالى له، قال تعالى: [**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**] [6] [1]. ولا شك أن

---

[1]- محمد السيد الجليند: من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، دط، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1410هـ-1990 ص74.

[2]- لبن عطاء الله السكندري، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، تحقيق محمد عبد الرحمان عبد الجواد الشاغول، دط، دار جوامع الكلم، القاهرة، 1425هـ، ص54.

[3]-سورة التوبة، الآية: 24.

[4]-النورسي، ،كليات رسائل النور، المكتوبات، المكتوب الثاني، مصدر سابق، ج2، ص392-393.

[5]-ابن عطاء الله السكندري، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، مصدر سابق، ص23.

[6]-سورة آل عمران، الآية: 31.

المتابعة للنبي –عليه الصلاة والسلام– هي السبيل للفوز بمجامع الخيرات التي حصرها القرآن في قوله تعالى:[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا] [2].

وفي موضع آخر يبين النورسي للمسلمين حقيقة ما كلف بتبليغه النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والرحمة وما جاء به من عند ربه من الأحكام والحلول لكل ما يعاني منه الإنسان من المشاكل والأزمات المختلفة حيث يقول: "...إن دساتير المسائل الشرعية والسنة النبوية أفضل دواء وأنفعه للأمراض الروحية والعقلية والقلبية ولا سيما الاجتماعية منها، فأنا أعلن بمشاهدتي وإحساسي هذا وقد أشعرت الآخرين بشيء منها في الرسائل بأنه لا يمكن أن تسد مسد تلك المسائل أية حلول فلسفية ولا أية مسألة حكيمة، فالذين يرتابون من ادعائي هذا عليهم مراجعة أجزاء النور فليقدر إذن مدى الربح العظيم في السعي لإتباع سنة هذه الذات المباركة والجدّ في طلبها على قدر الاستطاعة ومدى السعادة للحياة الأبدية ومدى النفع في الحياة الدنيا "[3].

ولأجل الحصول على تلك المنافع والفوز بالسعادة الأبدية رغّب النورسي طلابه في محبة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول"... فالسعيد المحظوظ هو من له أوفر نصيب من هذا الإتباع للسنة الشريفة"[4].

3– محبة المؤمنين:

توجه النورسي في هذا المستوى من المحبة إلى المؤمنين حيث تكون الصلة فيما بينهم قائمة على المودة والتعاون والإخاء، وهي الصلة التي يشعر معها المرء بالقوة والأمان والقناعة والرضى، بينما يرافق العداء والكراهية إحساس بالقلق والتذمر والسخط على كل شيء، وهي أمارات النفوس المريضة وأثر من آثار الطفولة النفسية التي تمنع صاحبها من التصرف الحكيم الذي يعود عليها وعلى المجتمع بالخير والمنفعة[5].

ولقد أدرك النورسي بفضل ثقافته القرآنية أن الإيمان بالله هو الطريق الذي يقود إلى التخلق بخلق المحبة ولذلك يقول: "أجل إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة، وإن أجدر شيء بالمحبة هي المحبة نفسها، وإن المحبة والأخوة من طباع الإسلام وروابطه"[6].

ذلك أن الإيمان في المنظور النورسي هو أقوى الروابط التي تقرب بين الأفراد وتوحد بين القلوب فتدعوهم لنوع خاص من الأخوة تفوق أخوة القرابة والنسب وتتجاوز حدود الزمان والمكان، قال تعالى: [وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ][7]. وقوله الحق: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] [8].

ولأن الرجل أخلص في محبته للمسلمين فقد شعر بمسؤوليته تجاه أمته وإخوانه ووعى الدور الذي ينبغي للمخلصين من أمثاله القيام به، فراح يهيب بالنفوس أن تتآلف وتتعاون وتتكاثف لمواجهة خطر التمزق والخلاف الذي تعاني منه الأمة، فقال في الخطبة التي

---

[1]–ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، مصدر سابق، ص21–22.

[2]_ سورة الأحزاب، الآية 21.

[3]– النورسي، اللمعات، مصدر سابق، ص88–89.

[4]– المصدر نفسه، ص95

[5] –أنظر الخطبة الشامية، ص63.

[6]–النورسي، صيقل الأسلام، الخطبة الشامية، ص510.

[7]–سورة الأنفال، الآية: 63.

[8]–سورة الحجرات، الآية: 10.

ألقاها بالمسجد الأموي:" لقد آن أوان الاتحاد الإسلامي وهو على وشك أن يتحقق، وعليه ينبغي أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية وليتجاوز كل عن الآخر"[1].

ثم تأمل في أسباب التنافر والخلاف فلم يجد منها ما يستسيغه العقل، فراح يعدد من الدعاوي التي تهتف بالبشر وتدعوهم للعيش في مجتمع متكافل ومترابط لا مكان فيه للأنا المتسلطة أو الأنا المستعلية، يقول رحمة الله عليه: "نعم إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع، فأنت تستشعر بنوع من الرابطة بكل من يعيش معك في طابور واحد بل تستشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك الأخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى فيرشدك مثلا إلى أن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد...وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف ثم إن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة، ثم إنكم تعيشان معا في قرية واحدة تحت ظل دولة واحدة في بلاد واحدة...وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة"[2].

ومن بين الدعاوي التي تدعو الناس للوحدة والتآلف -كما يرى النورسي- دعوى الانتماء للمكان والوطن ودعوى الانتماء للعقيدة والدين، هذه الأخيرة التي اعتبرها أقوى الروابط الإنسانية وأفضلها على الإطلاق، وهي من النعم التي تفضل بها الله على خلقه فقد قال تعالى: [لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] [3]، وقال أيضا: [فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا] [4]، وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: «المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[5] يؤلف»[5]

وتكمن إيجابية هذه المحبة عند النورسي متى"...وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة آنفا أي عندما تكون لله في سبيله "[6].

ذلك أن المحبة التي تكون لله تكون خالصة لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته، فلا يشوبها رياء أو نفاق ولا تتحكم فيها الأهواء أو المصالح الشخصية، ومن هذا المنطلق فإن المحبة لله هي الكفيلة بتغذية المجتمع بقيّم المودة والتعاون والوحدة والتماسك.

4- محبة الحياة:

الحياة عند النورسي هي أجل نعم الله سبحانه، فهو تعالى وهبها للبشر ليحققوا بها معنى الخلافة والعمارة في إطار عبادة الله الواحد، لذلك فإن محبة الحياة في نظره تعني استثمارها استثمارا إيجابيا يحقق له النفع والخير في الحياة الدنيا ويستفيد منه في الحياة الآخرة، حيث يقول: ‘‘إن الحياة التي وهبها الله للإنسان هي رأسمال عظيم يستطيع أن يكسب به الحياة الأخروية الباقية. وهي كنز عظيم يحوي أجهزة وكمالات خالدة، ومن هنا فالمحافظة على الحياة الدنيا ومحبتها من هذه الزاوية وتسخيرها في سبيل الله عز وجل يجعلها تعود إلى الله سبحانه. إذ أن محبتها والشغف بها على هذه الصورة ينقلب إلى محبة لوجه الله تعالى، إذ هي في هذه الحالة تكون مزرعة للآخرة ومرآة لأسماء الله الحسنى، ورسائل ربانية إلى الوجود ودار ضيافة مؤقتة. فاجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى الحرفي وليس بالمعنى

---

[1]- النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ص512.

[2]- االنورسي، المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص341.

[3]-سورة الأنفال، الآية: 63.

[4]-سورة آل عمران، الآية: 103.

[5]-رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد، والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه، ج6، ص158.

[6]-االنورسي، لكلمة الثانية والثلاثين، ص766.

الإسمي، أي لمعنى ما فيها وليس لذاتها، ولا تقل لشيء ''ما أجمل هذا'' بل قل ''ما أجمله خلقا''[1].

لقد أراد النورسي بهذا التصور الإيماني للحياة أن يبين للمؤمن حقيقة الحياة الدنيا، فهي محطة انتظار وعبور لحياة ثانية نحن الذين نرسم معالمها ونحدد وجهتها ما يستدعي عدم التعلق بها والحذر منها، حيث يقول: "..."ثم أدركنا أن دنيانا الخاصة مزرعة مؤقتة للآخرة والجنة، وحوّلنا أحاسيسنا الشديدة ومشاعرنا القوية نحوها كالحرص والطلب والمحبة وأمثالها، إلى نتائج تلك المزرعة وثمراتها وسنابلها، تلك هي فوائدها الأخروية، ينقلب عندها ذلك العشق المجازي إلى عشق حقيقي. وبخلاف هذا نكون ممن قال الله في حقهم **[وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]** [2] [3].

ويميز النورسي بين نوعين من المحبة، محبة يسعد بها صاحبها وهي محبة الحياة، التي تكون عونا له على الاستقامة وزادا يتزود به إلى الآخرة مصداقا لقوله تعالى: **[إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا]** [4].

ومحبة يشقى بها وتتعلق " بالذي لم يفكر بزوال حياته، وحسب دنياه الخاصة الفانية ثابتة كالدنيا العمومية، ناسيا زوال الحياة، عادّا نفسه خالدا فيها فسكن إليها وتمسك بها بجميع حواسه ومشاعره يغرق فيها وينتهي أمره. فتكون تلك المحبة وبالا عليه وعذابا أليما"[5].

ثالثا: أبعاد المحبة عند النورسي:

لقد وقف المفكر بديع الزمان النورسي على ما حلّ بالمجتمعات من شقاق وتنافر وصراع، وتوصل من منطلق خبرته بالحياة أن أفضل علاج لهذا المرض الذي بات يهدد البشرية في أمنها وحياتها هو المحبة فقال فيها قولا بليغا: "إن ما تعلمته من الحياة الاجتماعية البشرية طوال حياتي، وما أملته علي التبعات والتحقيقات هو: أن أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها، وأجدر صفة بالخصومة، هي الخصومة نفسها، أي أن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقيق السعادة هي أليق للمحبة، وأن صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها أجدر أن تتجنب وتنفر منها "[6].

لا حظ النورسي أن أكثر ما تعاني ما تشكو منه الإنسانية في عصرنا هو الأنانية وغلبت الفردية، لذلك يرى ضرورة إشاعة معاني المحبة بالدعوة إلى العفو والتسامح والتجاوز عن الزلات والأخطاء، فيقول في هذا المقام: "لا يجوز إغراق سفينة تحمل مجرما مع أبرياء كثيرين لذا لا يجوز عداوة المؤمن الحامل لصفة مجرمة مع صفات بريئة كثيرة، ولا سيما أن سبب المحبة وهو الإيمان عظيم عظم جبل أحد، بينما سبب العداوة إنما هو كالحصيات...وأن تفضل الحصيات على جبل أحد بلاهة أيما بلاهة"[7].

وذلك نظرا لما تحمله المحبة من تجليات أخلاقية فردية واجتماعية نحن في أمس الحاجة إليها في زمن الخواء الروحي واكتساح النموذج المعرفي المادي الذي تفنن في صياغة إنسان همه في الحياة الاستجابة لمطالب الجسد والتنكر لأشواق الروح وتطلعاتها.

ومن التجليات الواقعية لخلق المحبة عند أستاذنا الجليل التأكيد على الوحدة والتعاون بين البشر، حيث يقول: "... أجل إن أسباب المحبة هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة، وإن أجدر شيء بالمحبة هي المحبة

---

[1] ـمحمد التوهامي، النورسي أنوار لاتغيب، ط1، مطبعة المدني، 1418-1998، نقلا عن الكلمة الثانية والثلاثين، ص765وما بعدها.

[2] –سورة الحشر، الاية: 19.

[3] –النورسي، رسائل النور، المكتوبات، المكتوب الثاني، مصدر سابق، ج2، ص13.

[4] _ سورة الكهف الآية 7.

[5] – النورسي، رسائل النور، المكتوبات، المكتوب الثاني، مصدر سابق، ج2، ص13.

[6] –بديع الزمان سعيد النورسي، كليات النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط1، دار سوزلر، إسطمبول، 1995، ص509.

[7] –النورسي، المكتوبات، ص172.

نفسها، وإن المحبة والأخوة من طباع الإسلام وروابطه"[1].

فهو يدعو لتوسيع دائرة العلاقات الأخلاقية، فبعد أن أكّد على المحبة والتعاون الإيماني نراه ينتقل للتأكيد على التألف والتعاون الإنساني، وهو في كل هذا ينطلق من القاعدة القرآنية [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] [2].

فالتعاون على البر والخير والتقوى من الفضائل الأخلاقية الصادرة عن خلق المحبة، يتم التعامل بها مع الجميع دون التأثر بالاعتبارات الدينية أو العرقية أو القومية.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على مثل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناحر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم"[3].

وقال القرطبي: "وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى"[4].

وختاما نقول بأن المحبة عند النورسي لها بعدا وظيفيا أخلاقيا واجتماعيا وحضاريا يرتبط بدور الأمة في مواجهة التيارات الغربية التي تكرس للنزعة الفردية وترسخ لخطاب العداء والكراهية، كما اتخذت منحى إيجابيا هو التوسط بين محبة هوت بالإنسان فجعلته عبدا أسيرا لرغباته المادية، ومحبة تجاوزت به حدود طبيعته الإنسانيته فصيّرته كائنا مذهولا مغيّبا عن نفسه وعن الوجود من حوله، ذلك أن المحبة الحقيقية عند النورسي هي التي تنورت بنور القرآن واهتدت بهدي نبيه عليه- الصلاة والسلام.

وتتبدى إيجابية هذه المحبة عندما تحرر صاحبها من كل ما يبعده عن الله (محبوبه) ومن ثم تدعوه إلى البذل والعطاء والتضحية في سبيله وابتغاء مرضاته، ولا شيء عند المرء يعدل ذرة واحدة من محبة ذلك المحبوب خالق الأكوان وصاحب الفضل والإحسان.

قائمة المراجع:

- إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره، دار سوزلر، اسطمبول، 1987.
- أديب إبراهيم الدباغ، من ملامح التربية السلوكية، عند النورسي (مقال)، مركز النور للدراسات والأبحاث، اسطمبول.
- بديع الزمان سعيد النورسي، رسالة الطبيعة، نشريات سوزلر، اسطمبول، 1975.
- بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور، المثنوي العربي النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط3، دار النصر، مصر، 2000م.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط1، دار سوزلر، إسطمبول، 1995.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط3، شركة سوزلر للطباعة، اسطمبول، 1998.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، اسطمبول، 1993.
- بديع الزمان سعيد النورسي، مرقاة السنة وترياق مرض البدعة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مطبعة الحوادث، بغداد، 1988م.

[1]-النورسي، الخطبة الشامية، مصدر سابق، ص510.

[2]_ سورة المائدة الآية 2.

[3]-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، ج2، ص8.

[4]-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، 1933، مج3، ج6، ص18.

- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دط، دار إحياء الكتب العربية، دت، ج4.

- أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، دط، القاهرة، 1351هـ-1932م، ج2 .

- عبد الرحمان بدوي، شهيدة العشق الإلهي- رابعة العدوية-، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دت .

- عمر التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1988.

- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، 1933، مج3، ج6.

- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، ج2.

- محمد التوهامي، النورسي أنوار لاتغيب، ط1، مطبعة المدني، 1418-1998، نقلا عن الكلمة الثانية والثلاثين.

- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وغياك نستعين، نسخة إلكترونية، 2010م، ج5.